

محاضرات وندوات مصورة - الأردن - جامع التقوى - الحلقة ٥٥٠ : الاستقامة والعمل الصالح .
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٤-١١-٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألويته ، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين .
اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات .

الاستقامة والعمل الصالح :

أيها الأخوة الكرام ؛ لا بد من مقدمة للموضوع الذي أردته اليوم ، المقدمة تقول : إن هناك مصطلحات في القرآن الكريم ، من هذه المصطلحات مثلاً الاستقامة .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾

[سورة فصلت الآية : ٣٠]

آية ثانية :

﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً ﴾

[سورة المؤمنین الآية : ٩٩ . ١٠٠]

فالاستقامة والعمل الصالح العلماء قالوا:
إذا اجتمعنا تفرقتنا ، وإن تفرقتنا اجتمعنا .
أي : إذا قلت الاستقامة وحدها تعني
الترك . يقول لك : ما أكلت مالاً حراماً ،
ما كذبت ، ما غششت .
الاستقامة طابعها سلبي ، ترك ، ما
أكلت مالاً حراماً ، ما غششت ، ما
اغتبت .



والعمل الصالح طابعه إيجابي ، عطاء ، عطاء من وقتك ، من خبرتك ، من علمك ، من مالك ،
من جاهك .

العمل الصالح عطاء ، والاستقامة امتناع . الاستقامة سلبية تحقق السلامة ، والعمل الصالح إيجابي
يحقق السعادة .

أنت بالعمل الصالح ترقى إلى الله ، تتصل بالله ، تقبل على الله ، جمعت مكارم الأخلاق عند الله ، فالله إذا أحب عبداً منحه خلقاً حسناً .

عندي نشاطان : نشاط لا أفعل هذا ، هذا حرام ، لا يجوز ، الترك ، الامتناع ، الامتناع هو الاستقامة ، ويحقق السلامة .

الآن عندنا عمل صالح ، وهناك استقامة حدية ، معنى حدية لا تفاوت بينها ، أنت لا تستطيع أن تقول اسم تفضيل من فعل غير قابل للتفاوت ، الموت حدي ، لا يوجد إنسان أموت من إنسان ، مات ، الموت حدي ، أما العمل الصالح فنسبي .

أي مستودع للوقود محكم ، معنى محكم أي إذا ملأته وتركته عاماً لا ينقص ميلي ، محكم .

أما الملاء فنسبي ، فالعمل الصالح نسبي ، والاستقامة حدية ، لا يوجد نصف مستقيم ، لا يوجد نوعاً ما مستقيم ، المستقيم مستقيم .

قال سيدنا عمر لراعي غنم : بعني هذه الشاة وخذ ثمنها . قال : ليست لي .

قال : قل لصاحبها ماتت - لها حل - أو أكلها الذئب . فقال هذا الراعي : والله إنني لفي أشد الحاجة إلى ثمنها ، ولو

الاستقامة حدية مطلقة فليس هناك درجات للاستقامة

قلت لصاحبها ماتت أو أكلها الذئب لصدقي ، فإني عنده صادق أمين ، لكن أين الله ؟ أنا أقول : هذا الراعي لا يحمل دكتوراه ، ولا ماجستير ، ولا درس بالعالم الغربي ، ولا يوجد عنده مكتبة عملاقة ، ولا عنده مكانة اجتماعية ، هذا الراعي وضع يده على جوهر الدين ، ممكن أن أقول له : ماتت ، أو أكلها الذئب ، وأنا في أشد الحاجة إلى ثمنها ، ولكن أين الله ؟ سبحان الله ! الشرع الإسلامي فيه نقاط تتفق مع القوانين ، ونقاط ينفرد بها الدين . تتفق مع القوانين؛ السرقة في الشرع حرام ، وفيها حد كبير جداً ، والقوانين تمنع السرقة .

إذا الواحد ما سرق ، يا ترى خوفاً من القوانين أم خوفاً من الله ؟ لا نعرف؟! لكن غض البصر لا يوجد قانون في الأرض يمنع غض البصر ، يأمر بغض البصر إلا الدين .

أنت قاعد بالبيت بغرفة فيها نافذة ، أمامك بناء ثان ، ظهرت امرأة بثياب متقلنة ، أنت لو أطلقت بصرك وتمتعت بمحاسن هذه المرأة لا يوجد قوة في الأرض تكشف غلظك إلا الله ، أنا أسميها غض البصر عبادة الإخلاص لا أحد يحاسبك إطلاقاً ، لو ملأت عينك من محاسن هذه المرأة ، أنت كمؤمن تغض بصرك ، هذه العبادة خاصة بالدين ، لأنها تؤكد الإخلاص .

الصيام : تدخل إلى بيتك ، الصيام بأشهر الصيف الحارة ، وفي الثلجة ماء بارد ، ولا تستطيع أن تضع نقطة ماء بفمك ، لا يوجد قوة تكشفك ، الصيام عبادة الإخلاص .

((كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به))

[أخرجه ابن ماجه وابن خزيمة عن أبو هريرة]

فهذا الصيام يعلمك الإخلاص ، غض

البصر يعلمك الإخلاص ، أما أحياناً هناك دولة قاسية جداً إذا إنسان أفطر تفرمه ، فأنت لا تسرق صح ، لماذا ؟ لا نعم ، والله هذه بعلم الله ، فلذلك الله يمتحنك في أوامر تتفق مع القوانين ، وأوامر ينفرد بها الدين . فلذلك الاستقامة سلبية ، ما أكلت ما لا حراماً ، ما غششت ، ما كذبت ، كلها فيها مآلات .



العمل الصالح فيه بذل

أما العمل الصالح ففيه بذل ، أعطيت من علمك ، أعطيت من مالك ، أعطيت من جاهك ، فأنا أقول كما النبي الكريم :

((المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

لماذا ؟ لأن المؤمن القوي خيارته لا تعد ولا تحصى ، يقدر أن يعمل جمعية خيرية ، يقدر أن يزوج شباباً ، يقدر أن يحل مليون مشكلة ، مع الأسف الشديد ، هذا بلكيت ، ليس مسلماً من أغنى أغنياء العالم ، ثروته تقدر بتسعين مليار دولار ، أنفق ثلثها على فقراء إفريقيا ، محسوب عند الله .

ما أحسن عبد من مسلم أو كافر ، إلا وقع أجره على الله في الدنيا والآخرة .

وأنا أقول كم : كل أوربا إيجابياتها إسلامية ، لا لأنها تعبد الله أبداً ، لأنها تعبد الدولار من دون الله ، ولكن الله كافأها ، جعلها قوية ، القوة أن المواطن له مكانة قوية ، له حقوق ، أي السويد لوحدها أي مواطن دخل للسويد له كل ميزات المواطن السويدي لأن الله ينصر الأمة الكافرة العادلة على

الأمة المسلمة الظالمة ، والدنيا تصلح بالكفر - كلام ابن تيمية - والدنيا تصلح بالكفر والعدل ، ولا تصلح بالإيمان والظلم .

وهناك مقولات أخرى : الكفر يدوم ، والظلم لا يدوم .

فلذلك أخواننا الكرام ؛ يجب أن نحرم بعض المصطلحات ، هناك مصطلحات إن اجتمعنا تفرقتا ، كالاستقامة والعمل الصالح ، وإن تفرقتا اجتمعنا ، نقول : الاستقامة ، تعني الاستقامة والعمل الصالح ، نقول : عمل صالح يعني الاستقامة ، الاستقامة سلبية ، ترك



الله أعطى الغرب الاستقرار والتفوق لأنهم عدلوا مع كفرهم

امتناع العمل الصالح إيجابي .

الآن إذا قلت : أخلاق ، هذه الكلمة بالعرف الاجتماعي تنصرف تحت باب الأخلاق الراقية ، فلان ذو أخلاق ، وهناك أخلاق سيئة ، الكذب خلق سيئ ، والغش خلق سيئ ، والنفاق خلق سيئ ، لكن كلمة أخلاق إذا تفردت انصرفت إلى الأخلاق الرضية .

الفتنة .

الآن عندنا قصة سيدنا موسى ، أردت من هذه المقدمة ، قال له الله عز وجل :

﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِهُ ﴾

[سورة القصص الآية : ١٥]



تسلط القوي الأقل عددا واستضعاف الضعيف الأكثر عددا قصة متكررة في الأمم

من بني إسرائيل ، مستضعفون في الأرض ، والآن عندنا مليون شاهد ، يكون هناك فئة هي الأكثرية لكن مستضعفة ، وفئة أقلية ثمانية ونصف بالمئة ، بيدها كل شيء ، المال والسلاح والقوة والعالم كله معها ، فنقول : هذا من المستضعفين ، من السنة ، وهذا من الأقوياء ، من الفئة الحاكمة ، نفس القصة وردت سابقاً :

﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ ﴾

من بني إسرائيل ، من القوم المستضعفين .

﴿ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ﴾

الفئة الحاكمة .

﴿ فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ﴾

[سورة القصص الآية : ١٥]

مات .

﴿ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾

[سورة القصص الآية : ١٥]

الآن الآية الثانية ، الله يخاطب سيدنا موسى :

﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴾

[سورة طه الآية : ٤٠]

كلمة فتنة ليس لها عمل سلبي ، معنى حيادي ، فتن فنجد ، عند العوام ، عند معظم الناس فلان فتن ، فتن لكن ما رسب نجح ، الفتنة حيادية لا تعني السقوط ، ولا تعني التفوق ، تعني الامتحان ، فتن أي امتحن ، لأن الآية الدقيقة :

﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾

[سورة الممتحنة الآية : ٥]

المسلم في بلاد الغرب .

كيف ؟ مثلاً : يعيش مسلم ببلاد الغرب ، يغلط ، المسلم إذا غلط ببلاد الغرب لا ينسحب غلظه على ذاته ، بل على أمته ، أنا سافرت كثيراً إلى أميركا ، وإلى أوروبا ، أقول له : أنت أيها المسلم المقيم في ألمانيا ، الألماني لا قرأ القرآن ولا السنة ، الإسلام عنده أنت فقط ، الإسلام كله ، هذا الدين العظيم عنده أنت ، تغلط ، يتهم الإسلام ، ما معنى فتن الكافر ؟

أنت عندما كذبت أمامه ، قدمت تصريحاً كاذباً وكشف الحقيقة اعتر بدينه الذي فيه شرك ، يقول : نحن على حق وأنتم على باطل ، أي إنسان يقيم خارج بلاد المسلمين عليه مسؤولية كبيرة جداً ، لأن خطأه لا ينسحب عليه ، ينسحب على أمته ، وكلما سافرت إلى بلاد الغرب وبلاد أوروبا والشرق - الكلمة



أركز عليها تركيزاً كبيراً - أقول لك : معك رسالتان ، رسالة من دينك الحنيف لهذه الأمة يجب أن تبرز من هو المسلم ، إنسان عظيم ، إنسان ورع مستقيم ، منطقي ، عنده عقيدة سليمة ، فإذا جئت إلى بلاد الشرق لا تنقل إباحيتهم ، انقل علمهم .

سئل أحد المفكرين ماذا نأخذ من الغرب ؟ قال : نأخذ ما في رؤوسهم ، وندع ما في نفوسهم . هناك كلمة ثانية لمفكر ، قال : ثقافة أمة ملك البشرية جمعاء ، لأنها بمثابة عسل استخلص من زهورات مختلف الشعوب على مر الأجيال ، وهل يعقل إذا لدغتنا جماعة من النحل أن نقاطع عسلها؟



نأخذ ما في رؤوسهم ، نأخذ علمهم ، وخبراتهم ، لكن لا نأخذ إباحيتهم ، هذه مشكلة ، الإنسان يعد حاله متحضراً إذا سارت معه زوجته بثياب فاضحة ، حضاري ، هذا الغلط ، نحن عندنا دين . لذلك أحد كبار الفلاسفة الغربيين ببريطانيا ، اسمه مستر جيب ، قال : أنا لا أصدق أن يستطيع العالم الإسلامي اللحاق بالغرب ، على الأقل بالمدى

المنظور ، لاتساع الهوة بينهما ولكنني أو من أشد الإيمان - دققوا الآن - أن العالم كله سيركع أمام أقدام المسلمين لا لأنهم أقوياء ولكن لأن خلاص العالم بالإسلام .

هل تصدقون الاتحاد السوفيتي قبل سقوطه حرم الخمر ، لأن هذا الدين دين علم ، فاكتشفوا أن أكثر نصف ثروات البلد تذهب بحالة السكر ، والأخطاء الناتجة عن السكر ، فالاتحاد السوفيتي قبل سقوطه حرم الخمر ، أتذكرون ذلك ؟ حرم الخمر ، الملحد ، الشيوعيون حرّموا الخمر . فلذلك الآن:

﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ ﴾

[سورة الإسراء الآية : ٧٣]

كنا بمؤتمر بلوس أنجلوس ، المؤتمر بقي أسبوعاً ، وألقيت فيه ثلاث محاضرات ، وكل محاضرة ساعة ونصف ، إلا أنه في جلسة ختامية ، يجلس ضيوف المؤتمر جميعاً ، كنا أحد عشر ضيفاً ، وكل واحد له دقيقة واحدة فقط ، بالختام دقيقة ، فأنا اخترت هذه الآية :

﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلاً ﴾

[سورة الإسراء الآية : ٧٣]

هذا موقف الغرب ، يسمحوا لك بالأذان ، وبالمآذن ، والجوامع ، أما تعمل منهجاً خلاف منهجهم ، لا يسمحون لك ، هم يريدون أن تسير على منهجهم ، أما تمنع الاختلاط ، تمنع سفور المرأة فلا يدعوك .



﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَنا إِلَيْكَ لَتَفْتَرِي عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخْذُوكَ خَلِيلاً * وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً * إِذَا لَأَذْنُوكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً ﴾

[سورة الإسراء الآية : ٧٣ . ٧٥]

إذا المشكلة الأولى :

﴿ لَتَفْتَرِي عَلَيْنَا غَيْرَهُ ﴾

كل المظاهر الدينية مقبولة عندهم ، والله كنا بمؤتمر بلوس أنجلوس ، كله ضد الغرب والحراسة من الدولة الأمريكية ، والتسهيلات غير معقولة ، هم ديمقراطيون ، تكلم ما شئت ، لكن إياك أن تحرض على فتنة ، هذه مشكلة كبيرة جداً ، لكن تكلم ما شئت .

أخواننا الكرام ؛ القضية قضية حياة أو موت والله ، قضية نكون أو لا نكون ، كل ما تسمعون به من أخبار من أجل محق السنة فقط ، لأن هذا الدين السنة الحقيقية .

عندهم مقولة ، مرة قرأت مقالة مترجمة ، هم يرون أن الذين فتحوا الأندلس هم السنة فقط ، والذين فتحوا القسطنطينية هم السنة فقط .

وفي لوحة زيتية بفيينا جندي تركي - وصلت الجيوش لفيينا ، فتوح العثمانيين وصلت لفيينا - يشتري عنباً من فتاة ويغض بصره عنها ، عندما غض بصره فتحوا ووصلنا لفيينا ، لما ملأنا العين من محاسن المرأة تراجعنا ، قضية القوانين عند الله عز وجل .

﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَنا إِلَيْكَ لَتَفْتَرِي عَلَيْنَا غَيْرَهُ ﴾

ما عندهم مشكلة بالعبادات التي تخصصنا ، تعمل جوامع ، تعمل حضرات ، تعمل ذكراً ، كله عمله ، لكن هناك منهجاً يجب أن تعتمد منهجهم في التعامل مع الغير ، لذلك الدعاء الرائع جداً :

﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾



عندما يخطئ المسلم في الغرب فإنه يثبت للكافر أن
كفره هو الحق

أنا أرتكب غلطاً ، بهذا الغلط أقنع الكافر
أنه على حق ، لست أنا على حق ، والله
يا أخوان معي قصص مؤلمة جداً ،
أكثر المخالفات في بلاد الغرب من
المسلمين ، الغرب عندهم أنظمة غير
معقولة ، لك دين مع إنسان تقدم طلباً
تأخذ المبلغ بأكمله من الدولة ، أنه أنا
مضطر له الآن ، هذه لغيت الآن ، أي
ميزة للمسلمين لغوها ، لأنه صار احتيال

قال لي إنسان بألمانيا : عشرة بالمئة من المسلمين شوهوا سمعة الإسلام كله ، بيان كاذب ، كل
المخالفات قام بها المسلمون وهم قلة ، أرقى جالية بأمريكا الأطباء ، أرقى جالية إسلامية ، ومع ذلك
قلة قليلة تشوه سمعة المسلمين بالعالم .

أخواننا الكرام ؛ أريد أن أقول كلمة : أنت ببلادك الإسلامي إذا أخطأت ينسب الخطأ إليك وحدك ، إلا
بالغرب إذا أخطأت فينسب الخطأ لدينك ، وهذا معنى قوله تعالى :

﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾

لما تعامل الغربي معاملة سيئة يتهم دينك بالسوء ، لذلك ورد بالحديث :

((أنت على ثغرة من ثغر هذا الدين فلا يؤتئين من قبله))

والحمد لله رب العالمين